المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية – جامعة سيدي بلعباس
ISNN : 2170-0060 EISSN : 2602-523X
المجلد 16 -- العدد 01 -- جوان 2024 ص 102 - 118

نظرة عن أوضاع الجزائر خلال فترة حكم الداي شعبان 1100-1106ه/1689- 1695م

A look at the situation in Algeria during the rule of the Dey Shaaban 1100-1106 / 1689-1695

رتيبة عليوان – طالب دكتوراه ratiba.aliouane@univ-alger2.dz	تاريخ الجزائر في العصر الحديث	جامعة الجزائر 2 "أبو القاسم سعد الله/ الجزائر مخبر المخطوطات
ابراهيم سعيود – أستاذ التعليم العالي Sayoud.brahim@univ-alger2.dz	التاريخ الحديث والمعاصر	جامعة الجزائر 2 "أبو القاسم سعد الله/ الجزائر

DOI :

الإرسال: 2023/03/30 **القبول**: 2024/05/29 **النشر**: 2024/06/25

ملخص:

يعتبر عهد الدايات هو آخر وأطول مراحل الحكم العثماني في الجزائر من 1671-1830 م وقد تعاقب على هذه الفترة عدة شخصيات قوية وفاعلة أكسبت الجزائر هيبة دولية ومن بين الشخصيات الداي شعبان خوجة الذي عين دايا على الجزائر في الفترة الممتدة (1100-1106 هـ/1689 - 1695م) كان له سيطرة وفاعلية في البلاد بعد تمرد الانكشارية على الداي حسين ميزومورتو وخلعه من منصبه في سنة 1689 م. وباعتلائه السلطة تمكن من فرض هيبته وقوته على الدول المجاورة التي كانت تحاول التوسع على حساب الجزائر بالإضافة إلى الدول الأوروبية على غرار فرنسا، هذا الأمر فرض علينا الوقوف عند هذه الشخصية والتعرف على سياسته الداخلية والخارجية التي فرضها في فترة حكمه.

كلمات مفتاحية : الجزائر، الداي شعبان، الأوضاع ،ا لعهد العثماني

Abstract:

The era of the Deys is the last and longest phase of Ottoman rule in Algeria from 1671-1830 AD. During this period, several strong and active personalities succeeded, which earned Algeria international prestige. 1695 AD) had control and effectiveness in the country after the rebellion of the Janissaries against Dai Hassan Mizomurto and removed him from office in the year 1689 AD. By assuming power, he was able to impose his prestige and power on neighboring countries that were trying to expand at the expense of Algeria, in addition to European countries like France.

Keywords: Algeria, Dey Shaaban, conditions, the Ottoman era

المؤلف المراسل: رتيبة عليوان **البريد الإلكتروني**:ratiba.aliouane@univ-alger2.dz

مقدمة :

تعتبر فترة حكم الداي شعبان من بين الفترات المميزة من الدايات الذين حكموا الجزائر خلال العهد العثماني. بحيث تولى الداي شعبان سدة الحكم في ظروف حرجة إلا أنه سعى إلى إتباع سياسة مختلفة نجح من خلالها في إحراز عدة انتصارات عسكرية ضد خصومه. وفرض مكانة الجزائر دوليا حينها. وعلى الرغم مما حققه على المستوى الداخلي والخارجي فإنه لم ينجح من امتصاص غضب الجند الذين اغتالوه بسبب كثرة الحروب عام 1695 م. وتم اختياري لهذه الشخصية نظرا لخصوصيات هذه المرحلة الحرجة والغامضة التي تولي فيها الداي شعبان الحكم ألا وهي أواخر القرن 17 م وبهذه الدراسة نرفع الغموض عن هذه الفترة .

وبهذا ماهي أهم الاستراتيجيات التي اتخذها الداي عند توليه الحكم؟ وفيما تمثل دور الداي شعبان في إبراز قوة الجزائر في فترة حكمه ؟.

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز الأبعاد المتعددة لسياسة الداي شعبان وكيف طبق الداي نظريته في فترة توليه حكم إيالة الجزائر. ولإنجاز هذه الورقة البحثية اعتمدناعلي المنهج التحليلي التاريخي وذلك لتحليل وتفصيل أهم الأحداث المرجوة لهذه الدراسة.

أولا : ولاية الداي شعبان (1100-1106 ه/1689 - 1695م)

1 - التعريف بالداي شعبان:

هو الحاج شعبان خوجة ابن امحمد ريسا، كان ينتمي إلى طائفة الأوجاق (آغا عسكر) ومن كبار المحاربين وبتعينه انتهى فترة حكم الرياس إلى طائفة الأوجاق ويعتبر الداي شعبان الذي تعاقب على حكم الجزائر بعد الداي حسين ميزومورتو**(تعقيب1)** فهناك اختلاف بين المؤرخين في بداية حكم الداي هناك من يقول فترة حكم الداي في أواخر ذي الحجة 1100 هـ / الموافق لشهر أكتوبر 1689 م (سعد الله، "من أخبار شعبان باشا داي الجزائر 1695"، 1980، صفحة 108)، ويذكر كذلك Delphin دلفان بأنه تولى الحكم في 24 ذي الحجة 1101 هـ الموافق ل 28 سبتمبر 1690 م (DELPHINE, 1922, p. 205)وهو الداي الخامس للجزائر.

وصفهPétis de La Croix بيتيس دو لاكروا الذي زار الجزائر وكتب عنها سنة 1695 م بقوله "إنه رجل يتصف بالحكم والبشاشة ويغلب عليه طابع الحياء وهو ملتزم بأحكام الشرع ومتمسك بعقيدته الإسلامية. .." (ابو عمران، 1995، الصفحات 205-206)ووصفه

كذلك أحمد برناز في الشهب المحرقة بقوله "كان في أيام دولته مهما قعد في دار السلطان للحكم ولم يدع المصحف من يده وغالب تفرغه يقرأ القرآن ويصوم. وليس بباب داره حاجب ولا بواب ماعدا نصرانيا أشيب. .." (ابو عمران، 1995، صفحة 205)كان محبا للخير والتقرب لله عز وجل.

من صفات الداي حسب المؤرخين الذين وصفوه أنه شخص جريء مقاتل شجاع لا يرحم أعدائه وفي نفس الوقت له صفات حميدة ورع، متصدق محب الصدقات (رهيوي، 2007-2008، الصفحات 34-35) وكان كثير البكاء على الفقراء (سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ط1، ج 2، 1996، صفحة 326). ..

ثانيا - أوضاع الجزائر الداخلية في عهد الداي شعبان .

1-أ : الواقع الاجتماعي والثقافي للجزائر خلال حكم الداي شعبان

تميزت الحياة الاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني بالتنوع في الشرائح الاجتماعية كالأتراك والحضر، الكراغلة، الميزابيون، القبائل، البرانية.. .الخ. كما هو متداول، في حين جلب الأتراك العثمانيون إلى الجزائر منذ ارتباط هذه الأخيرة بهم عدة وسائل ربطوا بها المجتمع الجزائري بالمجتمع العثماني، وتجلى ذلك في ظهور عادات وتقاليد (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1ط،1، 1998، صفحة 43) جديدة سواء في اللباس والأكل والشرب وغيرها من العادات. كما أثروا كذلك على الجانب الاجتماعي فيما يخص المذهب الحنفي بحيث ساعدوا على شيوعه بين الساكنة الحضرية وخير دليل نستدل به هو وقفية الداي شعبان باشا لدار ليؤول ريعها لصالح مسجد شعبان باشا الذي يعد مؤسسة حنفية (كردون، 2011، صفحة 103).

برز أيضا بين أواسط المجتمع الجزائري ظاهرة الوقف التي ساعدت على ديمومة التكافل الاجتماعي، وتمتين أواصر العلاقات بين الأسر، إذ تم تسجيل عدة وقفيات لعدة أملاك عقارية على سبيل المثال تم توقيف حانوتان ومخزن وعلوي لصالح مسجد شعبان خوجة _ قرب الرحبة القديمة _ وذلك في أواسط ذي الحجة سنة 1106 هـ-1694م (علبة 1/37،ميكروفيش 2،وثيقة 23)

أما في الجانب التعليمي كان هناك الاهتمام بالمعرفة وتناقل العلوم داخل مجتمع مدينة الجزائر، إذ ساعد على ظهوره الجهود الحثيثة التي قامت بها بعض الأسر العلمية، والتي كان لها دور في تناقل المعارف بين الأجيال فقد ثبت امتلاك بعض الأسر العلمية، والتي

كان لها دور في تناقل المعارف بين الأجيال فقد ثبت امتلاك بعض الأسر لمكتبات داخل سكناهم، وإن هذا الأمر إن دل على شيء فإنما يدل على أنهم أولوا اهتمامهم لتوريث العلم بين عناصر الأسرة الواحدة، مثلما قامت به أسرة قدورة والفقيه أبي عبد الله محمد

القوجيلي الذي كان يمتلك مكتبة، وخلفها في تركته لما توفي عن زوجه خديجة بنت الحاج على والديه من غيرها وهما محمد ونفيسة (علبة 123 وثيقة 1سنة 1108 هـ/1696 م). بالإضافة الى استمرار التعليم بتحفيظ وتعليم القرآن بين الصبيان والبنين، إذ وقف الداي شعبان على الأمر فعليا من خلال اهتمامه بتخصيص جزء من المسجد لتأسيس مكتب لهذا الغرض، وجعل بابه مقابل باب الجزيرة الذي أخذ اسم المسجد _جامع باب الجزيرة _ (كردون، 2011، صفحة 103). وهنا يظهر جليا بأن الداي كان يهتم بالجانب العلمي .

1-ب:المستوى المعيشي للمجتمع الجزائري في عهد الداي شعبان

يعرف المستوى المعيشي بعدة معايير خاصة بتلك الفترة وذلك من خلال النظر في المداخيل والأجور التي تتحكم في القدرة الشرائية. والأجور تحدد على حسب ما ورد في مخطوط " قانون أسواق مدينة الجزائر 1695-1705م " من الأمور التي يتم تحددها خاصة بالعمال مثل أجرة "الخلايين" **(تعقيب 2)**جاء كالتالي :"عن الحفرة الصغيرة 68 درهما والحفرة الأكبر منها نصف ريال حسب الجهد المبذول "غيرها من الأمثلة، ومن هنا يتضح لنا بأن الأمور كانت مراقبة فيما يخص تحديد الأجور.

بالأجرة تتحدد مكانة الفرد الاجتماعية وهناك نوعين للمستوى المعيشي في الجزائر خلال العهد العثماني حضري وريفي لقد أجمعت المصادر على أن وضع سكان المدن عامة ومدينة الجزائر خاصة كان مريحا مقارنة بسكان الأرياف الذين كانوا يتحملون أعباء الضرائب ومسؤولية تموين المدن بالمواد الغذائية، بحيث فئة المسؤولين يملكون عددا من الخدم والأسرى والعبيد لتلبية حاجياتهم (Brissac, 1931, p. 9)

أما الأجور الحقيقية لموظفي الدولة كانت تختلف من مصدر لأخر فهناك من قال أن الداي شعبان كان يتقاضى مائة وستة دنانير في السنة، علاوة على المواد الغذائية التي كان يتلاقاها من البايات الثلاثة من الزيت، السمن اللحم...، أما الباشا فكانت أجرته تقدر بألف وخمس مائة دينار لكل شهرين إضافة إلى المواد الغذائية المذكورة. أما البايات أثناء قدومهم إلى دار السلطان لتسليم الدنوش يدفعون للداي هدية مالية قدرها ألف سلطاني

والواقع أن الداي كانت مداخيله متنوعة بالإضافة إلى أجرته كان يتلقى الهدايا النقدية والعينية من البايات والقناصل والأجانب ومن تعينات بعض الموظفين في المناصب الإدارية أمثال القياد والشيوخ ويأخذ نصيبه من الغنائم. وهذه الامتيازات كان يحصل عليها معظم حاشية الداي (Devoulx, 1870, p. 70)

أما المستوى المعيشي للفئات الموالية الجند، الرياس، التجار والأعيان، العلماء فهو يتفاوت ويتحدد حسب مداخيلهم ومتطلبات المعيشية أما الفئات الاجتماعية فان وضعها كان صعبا وخاصة في فترات الأزمات التي تعرف أسعار المواد الأساسية ارتفاعا كبيرا .

أما نمط المعيشة في الريف فكان يعتمد في معيشته على الإنتاج الفلاحي وتربية المواشي والصناعة التقليدية والتجارة فكان أفراد الأسرة يتقاسمون المهام فيما بينهم وكان دخل تلك الفئات متفاوتا من أسرة لأخرى فهناك الملاك الكبار، أصحاب الأراضي وقطعان الماشية وهناك الصناع والحرفيون، التجار الذين كانوا يشتغلون في الفلاحة والرعي عند الملاك الكبار. وكان وضع هذه الشرائح الاجتماعية مرتبط بوفرة الإنتاج أو قلته الذي كان يتحكم فيه العوامل الطبيعية والبشرية، ولقد عانى المجتمع الريفي من الأزمات نتيجة الجفاف القحط، الجراد والزلازل وثقل الضرائب أدت هاته الظروف إلى انتشار الفقر والتشرد (أرزقي، 2005 _ 2006، صفحة 72).

2- الواقع الاقتصادي للجزائر في عهد الداي شعبان

تمثل الواقع الاقتصادي بإيالة الجزائر في الإنتاج الزراعي والحرفي والنشاط التجاري وعوائد النشاط البحري وهذه من أهم الموارد الاقتصادية لخزينة الدولة بحيث سعى الحكام الأتراك العثمانيون لتقويته وتطوير الأوضاع الاقتصادية للجزائر خلال العهد العثماني.

2- 1 النشاط الفلاحي :

عرفت الجزائر خلال العهد العثماني نشاطا زراعيا مزدهرا وقد ذكر ذلك بعض الرحالة الذين تعرفوا على الجزائر وأقاموا بها، فنجد حسن الوزان الذي زارها في بداية القرن 16م يقول" كانت تنعم بالرخاء من خلال وفرة الغلات الزراعية والمنتجات الحيوانية، بالإضافة إلى قيام الصناعة بنوعيها الحديدية والنسيجية، والتجارة الخارجية مع دول أوروبا، والداخلية مع الصحراء التي كانت تشكل موردا هاما للبلاد (يوسف،أمير، 2016، الصفحات 484-489)

هذا وبعد التحاق الجزائر بالدولة العثمانية عام 1519م، عرفت تطورا ملحوظا أثار إعجاب العديد من الكتاب الذين زاروا الجزائر منهم المغربي التمغروطي في أواخر القرن 16م، وأقام بها مدة شهرين في مدينة الجزائر بعد عودته من سفارته في إسطنبول (1589-1590) حيث أعجب بنظام أسواقها، ووفرة سلعه، كثرة السفن بمرساها، حيث قال أنهم يسمونها: إسطنبول الصغرى، إضافة إلى العديد من الأوروبيين الذين زاروا الجزائر خلال ق 18و19م وأعطوا انطباعهم حول ما شاهدوه، من بينهم: شاو الذي تحدث كثيرا عن تنوع المحاصيل الزراعية، ويرجع سبب ذلك لخصوبة الأراضي والمناخ الملائم (التمغروطي، 2007).

من هنا نستنتج أن النظام الذي كان سائدا شجع على الزراعة والصناعة وذلك بمنح أراضي للأشخاص والجماعات مقابل مقدار من المنتوج يؤخذ منهم كإيجار للأرض، حيث منح لكل جماعة امتيازات معينة وأعطاها الحرية في ممارسة العمل مقابل بعض الضرائب المفروضة عليهم، كما سمح هذا النظام بتوافد أعداد كبيرة ومختلفة من الأجناس على مدينة الجزائر من الداخل والخارج، كان لهم دور فعال في خلق نسيج اجتماعي بمساهمتهم العملية والعلمية وبخبرتهم المهنية (يوسف،أمير، 2016) .

2- 2 :النشاط الحرفي والصناعي :

تمثل النشاط الحرفي أساسا في صناعة الحرير و الصوف والجلود والطرز والنجارة و الصباغة...إلخ، (De Paradis, 1998, p. 108) وصناعة السفن التي تمثل أهم صناعة لارتباطها بالنشاط البحري للجزائر وقد مورست في كل من الجزائر، شرشال، جيجل وعنابة منذ القرن 17م، وكذا صناعة الأسلحة نظرا للأخطار المحدقة بالجزائر، كان ولابد من تطوير صناعة الأسلحة التي كانت تمثل أساسا في صناعة البنادق، المدافع والبارود بالمدن الكبرى خاصة منها مدينة الجزائر، وكانت بعض المصانع يملكها الأوروبيون.

أما الصناعة التحويلية التي تتمثل في تذويب المعادن كالحديد، الفضة، الزنك، صناعة النقود وتحضير مواد البناء، هذه الصناعة هي الأخرى انتشرت بالمدن الكبرى وخاصة منها الجزائر ولعل أهم منطقة كانت تتوفر بها هذه الصناعة هي بلاد القبائل أين تمارس صناعة الحلي والبنادق، بالإضافة إلى المنتجات الأخرى كالأقمشة والصناعات النسيجية التي طورها الأندلسيون(الزرابي والأقمشة)، وصناعة الصابون والجلود

3-2 : التجارة

3-2 - أ : التجارة الداخلية

تمثلت المبادلات التجارة الداخلية في معالجة المواد الأولية لتغطية الحاجات الأولية كالملابس، وأدوات منزلية وفلاحية بسيطة، النسيج كالبرانيس و زرابي وأغطية والحصير.

أما الأدوات الجلدية والحديدية تمثلت في الأواني المنزلية وأدوات فلاحية مثل القادوم والمحراث. ....إلخ، والحلي وتجارة الصابون المصنوع من زيت الزيتون. .. إلخ. أما التجارة المهمة تمثلت في تجارة القمح والشعير والأرز بحيث كان ميناء عنابة هو الأول في تصدير القمح والشعير (سعيدوني، 1985، صفحة 215)

3 -3 - ب :التجارة الخارجية

تمثلت المبادلات التجارية الخارجية في عهد الداي شعبان بإبرام معاهدات تجارية وباعتلائه الحكم ابرم معاهدة سلم وتجارة بين الجزائر وفرنسا تم 13 ماي 1689م بين الداي شعبان ولويس الرابع عشر: (نايت بلقاسم، 1830، صفحة 68) تم فيها بالإذن لفرنسا باستخراج المرجان من سواحل بونة_ عنابة حاليا_ وطبرقة وفتح مراكز تجارية أخرى بين بونة وبجاية وهنا اتخذ الديوان موقفا وسطا وهو عدم رفض الاتفاق مبدئيا وفي نفس الوقت سعى إلى إدخال تعديلات عليها مع الحفاظ على علنية المفاوضات من بينها : استرداد السفن الخمس وحرية شراء الأسرى لإقرار مواد المعاهدة (جيلالي، 2010، صفحة 202).

أما عن أهم المبادلات التجارية بين بلدان المغرب والمشرق تقوم بها قافلة الحجيج المتجهة إلى الحجاز مرورا بالإسكندرية وبلاد الشام فكانت رحلة الحجاج تنطلق من الجزائر ثم تونس وطرابلس الغرب ثم الإسكندرية لتصل إلى مكة المكرمة أين تتم المبادلات التجارية وكان التجار الجزائريين يجلبون الحرير الدمشقي والقطن المصري والأقمشة المطرزة والسجاد الفارسي إلا أن هذه التجارة كانت محاطة بالمخاطر غالبا ما تؤدي بحياة التجار نتيجة السفر والأوبئة والاغتيالات والسرقات التي كانوا يتعرضون لها إلا أن هذه التجارة ساهمت في تنشيط التجارة في مختلف المدن الجزائرية (أرزقي، 2005 _ 2006، الصفحات 246-245)

3 - 4 : الضرائب

استنادا إلى دفتر التشريفات وما تم تأكيده على تسجيل الضرائب والجبايات والرسوم بمختلف أنواعها عينية ونقدية وكيفية تحديدها وجبايتها. فيمكن القول بأن تنوع الضرائب والرسوم التي كانت تدفع الجزية خلال العهد العثماني ويشمل الدفتر عددا من هذه الضرائب وقد سجلت في محرم 1103 هـ/ 1691م وتسمي **ضريبة الالتزام** وشملت هذه الضريبة الفصائل العسكرية (المحلات العسكرية لجباية الضرائب من القبائل الممتنعة) وكذلك هناك **ضريبة التعين** وتفرض عند تولية أحد الشيوخ فانه يدفع جزية. وهناك كذلك **ضريبة الوطق** وتفرض على أصحاب الحرف. وهناك ضرائب استثنائية كضريبة الملح. ..الخ

كما أن هناك عشور القمح والشعير بحيث كل عام تجلب إلى مدينة الجزائر 1330 حمولة جمل من عشور القمح والشعير المفروض على المدينة حيث حمولة الجمل هي 6 صاعات ثمن استئجار الجمل يدفع من حبوب المخزن وهذه القيمة قدرت سنة 1103هـ / 1692 م (De VOLOUX, 1852, pp. 54-55)

3_ 5 : عوائد النشاط البحري

كان لتطور البحرية الجزائرية في البحر الأبيض المتوسط أثر إيجابي في تنوع الغنائم البحرية خلال القرن 17م، مما جعلها تلعب دورا كبيرا في انعاش الحياة الاقتصادية والاجتماعية للإيالة، فكانت مرتبطة عضويا بالتجارة، لأنهلا وجود لقرصنة دون أن تكون هناك غنائم يقع الاستلاء عليها، والعمل على تسويقها كبضاعة داخليا وخارجيا، وهذه الغنائم هي السلع والسفن والأسرى، يوفرها الأسطول البحري للقطاع التجاري، من خلال عملياته البحرية.

و بناءا على دراسة الأسرى الأوروبيون في الجزائر للباحث قرباش بلقاسم تبين لنا ما تم رصده من عدد السفن من سنتي 1688–1689م ب 19 سفينة فرنسة من المحيط الأطلسي وسفينة فرنسية محملة بالكحول في البحر المتوسط بقيمة 40000 قرش وبين سنتي 1690– 1692 م تم رصد سفن منها برتغالية و جنوية وهولندية بقيمة 40000 قرش. في مقابل ذلك بلغ تعداد الأسرى سنة 1691 م ب 36,000 أسير من مختلف الجنسيات، أما بين سنتي 1693–1694 م فقد بلغ عدد الأسرى الى أكثر من 10,000، وفي أواخر سنة 1694 م فقد بلع عددهم الى 20,000 أسير يوناني، ومن خلال تعداد الأسرى المرصودين من خلال هاته الدراسة نلاحظ تناقص في عدد الأسرى وهذا راجع لعدة عوامل أبرزها عامل

تراجع النشاط البحري في الحوض الغربي للمتوسط .أما فيما يخص أسعار الأسرى مع نهاية القرن 17 م في سوق الباديستان (تعقيب)كان من 100 الى 324 قرش إشبيلي فهنا نرى بروز مفارقة تمثلت في ارتفاع سعر الأسير بالنسبة للسنوات ما قبل فترة الدراسة (قرباش، 2015–2016، صفحة 152).

ومن خلال هاته الأرقام كانت الدولة تأخذ نصيبها المتمثل في خمس الغنائم مبدئيا لكنه في الواقع كان بين السبع والثمن (المنور،مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني العملة الأسعار المداخيل، ج1، 2009، صفحة 202) وتحصلت الايالة أيضا على مبالغ مالية كبيرة بسبب ما تفرضه من رسوم على الصادرات والواردات.

وعليه فقد اتخذت البحرية الجزائرية طابع المؤسسة الخاصة من أجل الربح، فكانت سفنها أما ملكا لكبار القراصنة أو الحكام، أو لشركات ذات أسهم، يتم فيها توزيع الغنائم حسب قواعد محددة، فكان نصف الناتج لأرباب السفن حسب عدد الأسهم التي يملكونها، والنصف الآخر يوزع على مجموع البحارة والمقاتلين، وكان عدد الأسهم محدد بدقة من أصغر بحار إلى رايس السفينة (المنور،مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني العملة الأسعار المداخيل ،ج1، 2009، صفحة 201)

ونظرا لما توفره الحملات البحرية من غنائم، كان المستثمرون في قطاعها ينتمون إلى كل المستويات الاجتماعية. كما مثل النشاط البحري مصدر رزق لجميع فئات المجتمع، داخل مدينة الجزائر، فهي عنصر أساسي ومؤثر في الحياة الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية في ذلك الفترة.

ثالثا : الأوضاع الخارجية للجزائر في عهد الداي شعبان .

تمثلت العلاقات الخارجية للجزائر في عهد الداي شعبان في التصدي لأطماع دويلات الجوار في محاولتهم التوسع علي حساب الجزائر ومع ملك فرنسا .

بحيث تمثلت علاقات الداي بهم بالجانب العسكري وبحماية إيالة الجزائر من تدخلات بايات تونس وأطماع السلطان المغربي مولاي اسماعيل العلوي.

1- علاقات الجزائر مع المغرب الأقصى :

لقد سعى الداي شعبان لحماية ايالة الجزائر من تدخلات بلدان الجوار وتنكل لهم بقوة وخاصة لما تصدى لأطماع السلطان المغربي المولى اسماعيل (اليفرني، صفحة 41) عند زحفه على تلمسان ووهران (ابو عمران، 1995، صفحة 206) فسار الداي لملاقاته بعشرة آلاف انكشاري وثلاثة آلاف صبايحية والتقي بجيش المولى اسماعيل الذي يتكون من أربعة عشرة ألف جندي ومئتان وثمان ألف فارس (Grammont, De, p. 262).

بحيث دارت الحرب بين الطرفين ورغم قلة عدد الجزائريين مقارنة بجيش المولى إسماعيل إلا أن الجزائريين قتلوا خمسة آلاف من الجنود بينما الخسائر البشرية من الجزائريين سوى مائة جندي فقط رغم عددهم الكبير (بن ميمون، 2018، صفحة 22) وكل هذا يعود إلى الاستراتيجية العسكرية التي طبقها الداي شعبان فهذا الأخير اتبع سياسة المباغتة واستعمال المدفعية كما أن هناك بعض القبائل انسحبت من جيش المولى إسماعيل (ابو عمران، 1995، الصفحات 206-207) فأصبح بفعل هذا الانتصار الطريق ممهدا أمام الداي شعبان للتقدم نحو فاس فلولا توسط العلماء في الصلح بحيث أورد **غاليبر** Galibert في تاريخه بأن المولي إسماعيل اضطر بفعله وبالهزيمة وفداحة الخسائر بأن يتقدم أمام الداي شعبان في خيمة نصبت له ويداه مغلولتان وراء ظهره استشعارا بالاستسلام وقَبَل الأرض ثلاث مرات وقال أنت خنجر وأنا لحم فاقطع ما شئت فامتنع الداي عن كل تصرف يمس به تقديرا لهذا الموقف.

الأمر الذي سمح فيما بعد باستقبال وفد عن السلطان يرأسه الأمير عبد الله بن مولاي إسماعيل ويضم كاتبه وقائد جيشه وبعض الأعيان والتجار لإقرار الصلح وتأكيد معاهدة احترام حدود البلدين، لكن المولى إسماعيل لم يتردد بعد سنتين من نقض هذه المعاهدة التي أخذها على نفسه، فهاجم منطقة تلمسان مستغلا انشغال الداي بحملته على تونس. فتصدت له فرق اليولداش بقيادة الباي مصطفي بوشلاغم وألحقت به الهزيمة سنة 1694 فاضطر أن يُقر ما نقضه ويعود بدون طائل إلى عاصمته فاس خائبا من جديد .

2 - علاقات الجزائر مع تونس

لقد اغتنم محمد باي التونسي مشاكل الداي شعبان بالجزائر وشن حملة على بايلك قسنطينة، فرد عليه الداي شعبان بهجوم مفاجئ على تونس بحجة مصادرة أملاك إبراهيم خوجة الذي هرب إلى تونس عام 1689م لذلك جهز الداي قواته واتفق في ذلك مع طرابلس الغرب وفي هذه الأثناء التجأ محمد بن شقير إلى الجزائر وبتحريض من الداي بدأ

هذا الأخير بهاجمة تونس وهذا الأخير ثار ضد صهره مطالبا بالولاية حيث كان يعلم سخط داي الجزائر عليه خاصة بعدما أخل ببعض العهود مع الجزائريين يوم أعانوه على الجلوس على عرش والده فاستغل ابن شكر هذا الموقف وذهب مستنجدا بالجزائر لإعانته على ثورته ضد الباي الحالي (جيلالي، 2010، صفحة 203).

وهنا اعد الداي قواته واتجه إلى تونس مارا قبل ذلك بطرابلس الغرب لتنضم إليه قوة من المتطوعين فتكبد خلالها باي تونس الهزيمة حيث استولى الجزائريون على بعض القلاع التونسية وعلى قسم من المدفعية وذخيرتها وبدأوا بمحاصرة قلعة تونس وشدّدوا الخناق على الموجودين فيها فلم تنجُ لا المدارس ولا المكاتب. .الخ من قصف مدفعيتهم ونتج عن ذلك خسائر كبيرة في الأرواح واضطر باي تونس من الاستسلام (وولف، 2009، صفحة 196)وقام الداي شعبان بتعين محمد بن شاكر كحاكم جديد على تونس (بلحميسي، 1986، صفحة 51) لكن سرعان ما عاد الداي إلى الجزائر أعلنوا التمرد على محمد بن شاكر لكن استطاعت الانكشارية وضع حد لهم لكن الانتصار لم يدم طويلا فحين ما انسحبت القوات الجزائرية من تونس حتى ظهر محمد باي على رأس الساحة السياسية وتمكن من طرد محمد شاكر بسهولة وتربع على الحكم (الميلي،مبارك، 1964، صفحة 195).

بعد أن استرجع محمد باي عرش تونس تحالف مع السلطان المغربي ضد الداي شعبان فقرر الداي مناصرة حاكم طرابلس الغرب بان يطرد محمد باي من تونس وأدرك هذا الأخير أن السلطان المغربي لا يستطيع أن يقدم له العون فعرض على الداي تقديم جباية عنوانا لخضوعه لكن الداي رفض (الميلي،مبارك، 1964، صفحة 196)وتوجه إلى تونس والتقى الجيشان بمدينة الكاف يوم 24 جوان 1694 لكن الانهزام كان حليف الجيش التونسي وتوجه الداي إلى عاصمة ايالة تونس واستولى عليها ونصب الداي محمد بن شاكر من جديد وعاد إلى الجزائر في فيفري 1695 م محملا بالغنائم وهي عبارة عن 120 رأسا من البغال المحملة بالذهب والفضة وكمية المدافع وعدد كبير من العبيد.

ومن انعكاسات هذه الحملات العسكرية على الحدود الشرقية والغربية برز تحالف كل من باي تونس والسلطان المغربي على التوسع على حساب الجزائر وضربها في آن واحد، فلما علم الداي شعبان بذلك سعى لمحالفة باي طرابلس الغرب وإخضاع باي تونس وفرض شروطه على السلطان العلوي لفترة ثلاث سنوات وبهذا كتب جون وولف نقلا عن أبو عمران الشيخ في معجم مشاهير المغاربة" **إن ذلك الجندي يصارع من أجل تحقيق تصور لشمال**

إفريقيا موحد جديد تحت سلطة بايلارباي باشا أو حاكم الجزائر". (ابو عمران، 1995، صفحة 210).

3 - العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال عهد الداي شعبان

بالحديث عن العلاقات الجزائرية الفرنسية في فترة الداي شعبان فكانت متأرجحة بين التوتر والسلم خاصة مع اعتلاء الملك الفرنسي لويس الرابع عشر الحكم وتوطيد مكانه ومركزه وبناء عظمة بلاده حاول إعلانه العداء الصريح على الجزائر ومحاولته القضاء عليها في إطار التوسع فيما بعد عليها. وذلك من خلال إرساله لعدة حملات عسكرية إلى الجزائر في عهد الداي حسين ميزومورتو كحملة دوكين الأولى والثانية وحملة دوستري لكنها كلها باءت بالفشل ولجأت فرنسا لعقد عدة معاهدات لعقد الصلح مع الجزائر وكذلك للمحافظة على تجارتها في المنطقة.

وفي جانب أخر تلقي الداي عروضا مغرية من أعدائه الأوروبيين للوقوف إلى جانبهم ضد الملك الفرنسي لكنه رفض حفاظا على صداقتهما. (قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500- 1830، 2010، صفحة 162)

ومن أولى العلاقات بين الداي شعبان ولويس الرابع عشر هي قضية الأسرى التي مثلت النقطة الجوهرية في العلاقات بن البلدين بحيث أرسل الداي رسالة للملك الفرنسي يشرح فيها هذه النقطة هذه وتم التوقيع على المعاهدة المئوية بين البلدين في سبتمبر 1689 تتضمن حرية شراء الأسرى دون تميز بين الطرفين. بالإضافة وبعد تعين الداي شعبان على الحكم في الجزائر (بوعزيز، الصفحات 89-90) عمد على اختيار شخص ذي كفاءة عالية له معرفة دقيقة بجزئيات وتفاصيل العلاقات الجزائرية الفرنسية فكان محمد الأمين دفتر دار الذي اختير للقيام بهذه المهمة وهو يتمتع بخبرة واسعة في مجال العلاقات. أرسلها الداي إلى فرنسا وزود هذا الأخير برسائل من الديوان ومن الداي إلى كل من لويس الرابع عشر وكاتب الدولة البحرية كما منح تفويضا مطلقا لتسوية كل القضايا وأولها قضية الأسرى التي طرحت في الرسالة ففي الرسالة التي وجهها الداي شعبان إلى لويس الرابع عشر " نؤكد لجلالتكم أن السبب الرئيسي الذي من أجله لم تستمر معاهدة السلم التي بيننا في الماضي طويلا هو كون جلالتكم أعطى أوامره عدة مرات لإطلاق سراح الأسرى الجزائريين لكن الموظفين الذين كانوا يشرفون على شؤون الأسرى في ذلك الوقت لم يسيروا سيرة حسنة مع مبعوثينا الذين أرسلوا لهذا الغرض " (قنان، معاهدة الجزائر مع فرنسا 1619 _ 1830، الصفحات 124-125)، كما

طالب الداي شعبان في رسالته بترسيم " لومير Lemaire" قنصلا لفرنسا بدلا من القنصل " ميزكادي ". وفي 26 جويلية 1690م استقبل محمد الأمين من قبل الملك لويس الرابع عشر بكلمة موجزة أكد فيها حرصه هو الآخر على تثبيت العلاقات السلمية بين البلدين.

وفي 23 جويلية 1691 م بعث الداي شعبان إلى لويس الرابع عشر رسالة سطر فيها تفاصيل الصعوبات التي واجهت إقرار الصلح وتثبيت السلم المبرم بين البلدين (قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500- 1830، 2010، صفحة 130)

وفي عام 1692م عاد محمد الأمين أفندي إلى الجزائر بصحبته 209 أسيرا مسلما على ظهر باخرتين، كما أحضر دوسول Dusult مبلغا من المال لشراء الأسرى الأوروبيون وتقديم الهدايا للديوان وكان من نتائج هذا التقارب سماح الداي لدوسول باستعادة المؤسسة الفرنسية بالقالة التي كانت بأيدي الانجليز منذ 1684 م (بوعزيز، صفحة 92) ومن الامتيازات التي حل عليها منح شركة فرنسية من مدينة ليون وقعت في جانفي 1694 م وتقرر في هذه المعاهدات أن يقتصر عمل الأجانب علي النشاط التجاري فقط ولا دخل لهم في الشؤون الداخلية حتى لا يتعكر صفو العلاقات الجزائرية الفرنسية (جيلالي، 2010، صفحة 201)

رابعا- مقتل الداي شعبان :

بعد الحملات الكثيرة التي قام الداي شعبان في عهده وانهاك الجيش بالحروب وطلب منهم حملة جديدة على تونس أدى ذلك الى إعلان فرق الحامية العصيان متعللة برفضها بالظروف وانتشار الوباء بمدينة الجزائر، وقد حاول الداي شعبان تهدئة غضب المتمردين عن طريق ارسال وفد من العلماء للتفاوض معهم، مؤلف من الباشا والمفتي والقضاة وفي مقدمتهم محمد بن سعيد قدورة، لكن هذه المحاولة باءت بالفشل، فهوجم مقر الداي شعبان من طرف الجند وألقي القبض عليه وأودع دار الأغا المخصصة لسجن الضباط الأتراك في أواخر ذي الحجة 1106 هـ _ 5 اوت 1695 م، كما يروي برناز" أن الجند تمردوا عليه وسجنوه وعذب مدة خمسة عشرا يوما بالسياط حتى تمزقت ثيابه مطالبين إياه بإعادة الأموال، لكنه تحايل عليهم بأن يطلقوا سراحه ويذهبوا به مع عائلته إلى مكان يختاره وعندما يصل يخبرهم عن مخبأ المال فأذعنوا إليه، ونكل بجثته وأهينت بالبصق ونتف لحيته وطعنها بالسكين ثم حملت جثته ودفنت في قبر أعده لنفسه وذلك في ضريح الشيخ أحمد بن عبد الله الجزائري، ولم يسلم من القتل من طرف أتباعه حيث

ألقي القبض على خليفته وعذب شديدا ن أجل الكشف عن الأموال التي خبأها الداي شعبان. (سعد الله، "من أخبار شعبان باشا داي الجزائر 1695"، 1980، صفحة 327) **وقتل خنقا بعد عشرة أيام بأمر من الداي الجديد الحاج أحمد آغا الاسكافي الذي نصبه الجند على رأس الديوان لتلبيه مطالبهم.**

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة تبين لنا بأن الداي شعبان كان ذا شخصية له نظرة واسعة على أوضاع الجزائر خلال تربعه على عرش الحكم وهو ذات شخصية ورعة ملتزمة ويتصف بالشجاعة والقوة وعدم الرحمة مع الأعداء أو المتمردين عليه .

ونستنتج كذلك من خلال حملاته على البلدان المجاورة كان تأديب للحكام على محاولتهم للتدخل وسعيهم للتوسع على حساب الجزائر، بالإضافة لفرضه الهيمنة والسيطرة على بلدان شمال إفريقيا في عهده وفرض الحماية والاستقرار على الحدود الجزائرية وذلك كان بالتصدي لبايات تونس وللسلطان المغربي وكان ذلك بفضل حنكته السياسية وقوة جيشه العسكرية بالإضافة إلى ذلك كانت دوافع الداي في هذه الحروب مع بلدان الجوار هو تحقيق شمال إفريقي موحد تحت سلطة واحدة وكان يرى أن هذا السنجق الغربي ما هو ألا جزءا من الدولة العثمانية وفاكهة لإنعاش السلطان وتأمين حدوده في البحر المتوسط. بحيث وقع الداي معاهدات سلمية على فرنسا من أجل الحفاظ علي الصداقة القديمة والسلم وليس خوفا منها وهذا ما جعل من الجزائر تكتسب الهيمنة والسيطرة داخليا وخارجيا .

- **بعد عرض سياسة الداي تبين لنا وجود تشابه مع بعض الدايات** في قضية اغتياله على غرار الداي محمد بكير باشا والداي علي باشا وغيرهم والتي تم اغتيالهم فيما بعد ,وكان سبب اغتيال الداي بأن الجيش الانكشاري سئم من الحروب مما أدى بهم إلى سجن الداي واغتالوه بالضرب حتى الموت .

_ التعقيبات

التعقيب 1: حسين ميزومورتو قائد بحري ذو أصول إيطالية أسلم وزار بيت الله الحرام تولى حكم الجزائر كداي من 1683الى1689م. قاد الحرب ضد فرنسا وتصدى

لحملات دوكين و دوستري للمزيد أنظر: مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، النهضة للكتاب، الجزائر، 1964،ص

التعقيب 2: الخلايين : يقصد به عمال النظافة الذين يكلفون بحمل النفايات والأوساخ .

التعقيب 3 : الباديستان :هو سوق يتم بيع فيه العبيد _الأسرى_ الذين كان يتم جلبهم من نشاط البحرية من طرف البحارة الجزائريين المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة الأساطيل والواقع ،ج2 ،الجزائر، 2009،ص،

قائمة المراجع :

_أبو القاسم سعد الله. (1998). تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 ،بيروت،دار الغرب الاسلامي.

_أبو القاسم سعد الله. (1980). "من أخبار شعبان باشا داي الجزائر 1695". الجزائر: مجلة التاريخ عدد 18 النصف الأول.

_أبو القاسم سعد الله. (1996). أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ط1، ج 2. بيروت: دار الغرب الاسلامي.

_محمد بن ميمون الجزائري. (2018). التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح، محمد بن عبد الكريم، ط 1. الجزائر: دار الوعي.

_الشيخ ابو عمران. (1995). معجم مشاهير المغاربة،تقرير :ناصر الدين سعيدوني. الجزائر : المؤسسة الجزائرية للطباعة .

_مبارك الميلي. (1964).تاريخ الجزائر في القديم والحديث.ج3،الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب .

_أمير يوسف. (2016). "الواقع الإقتصادي والاجتماعي خلال العهد العثماني1519-1830". قضايا تاريخية، عدد1، المدرسة العليا للأساتذة.

_المنور، مروش. (2009).دراسات عن الجزائر في العهد العثماني العملة الأسعار المداخيل،ج1،الجزائر،دار القصبة .

_بلقاسم قرباش. (2015-2016). الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال العهد العثماني، اشراف: بوغفالة ودان، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والعاصر. معسكر: جامعة مصطفى إسطمبولي.

_جمال قنان. (2010). نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500- 1830. الجزائر: دار الرائد.

_جمال قنان. (2007). معاهدة الجزائر مع فرنسا 1619 _ 1830. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

_جون وولف. (2009). الجزائر وأوروبا 1500 _ 1830، تر: ابو القاسم سعد الله. الجزائر: دار الرائد.

_رجاء رهيوي.(2007-2008). دايات الجزائر صور وأبعاد 1671- 1830، مذكرة ماجستير، اشراف فاطمة الزهراء قشي. قسنطينة: جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية.

_شويتام، أرزقي. (2005 _ 2006). المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519 _ 1830، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف : عمار بن خروف. الجزائر: جامعة الجزائر 2.

_عائشة كردون. (2011). المساجد التاريخية لمدينة الجزائر.الجزائر، Alpha Edition.

_عبد الرحمن جيلالي. (2010). تاريخ الجزائر العام، ج3.الجزائر، دار الأمة.

_عبد الله اليفرني. (دون تاريخ). روضة التعريف بمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف، تح : عبد الوهاب بن منصور، ط 2. الرباط: المطبعة الملكية.

_علي بن محمد التمغروطي. (2007). النفحة المسكية في السفارة التركية، تر و تح: محمد الصالحي. المغرب: المؤسسة العربية للدراسات و النشر.

_فاطمة الزهراء طوبال. (2019 _2020). النخبة الثقافية والسلطة في الجزائر في عهد الدايات 1671_ 1830، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، اشراف :رابح لونيسي. وهران: جامعة العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية.

_مولاي بلحميسي. (1986). ارشاد الحيران في امر الداي شعبان. جامعة الجزائر: مجلة الدراسات التاريخية، عدد 2.

_مولود قاسم نايت بلقاسم. (1830). شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة ، ج2. دار الامة.

_ناصر الدين سعيدوني. (1985). تاريخ الجزائر في العهد العثماني.الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

_يحي بوعزيز. (بلا تاريخ). العلاقات الجزائرية الخارجية مع دول ومماليك أوروبا 1500 _ 1830. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

_Brissac, D. (1931). Les Rapports De La France et Du Maroc Pendant La Conquête D'Alger 1830_1837. Paris: ed :La Rose.

_De Paradis, V. (1998). Alger sur XVIIIeme, siecle. Tunis: Bouslama .

_De VOLOUX, A. (1852). Tachrifat,Recueil de notes historique Sur L'administration De L'ancienne Régence D'Alger. Alger: Ed : impr du Gouvernement.

DELPHINE, E. (1922, Avril juin). "Histoire des Pachas D'Alger de 1515 à 1749 " . paris.

_Devoulx, A. (1870). Registre Des Prises Maritimes. Alger: R.A.N° 16.

_Gaid, M. (1991). L'Algérie sous les Turcs. Alger : Ed :Mimoun.

_Grammont, De. (s.d.). HistoirD'alger sous La Domination Turque.

_Plantet, E. (1889). Correspondance des deys D'Alger Avec La cours de France 1579 – 1833, T_1,1579_1700. paris.